مرافئ

احمد الجابري .. عمله شعرية نفيسة غنى له احمد قاسم والمرشدي والزيدي وعصام خليدي

محمد عمر بحاح

غاب عنا احمد الجابري زمناً لو قدرناه بالسنين فانها كثيرة وعاد إلينا وكأنه لم يغب عنا سوى لحظة قصيرة.

فارس من فرسان الشعر الغنائي اليمني مازالت كلماته بيننا ولم يترجل، مازال قادراً على الغناء برغم حزنه النبيل..

مازلنا نعيش مع روائعه ومازلنا نتذكر معه الزمن الجميل.. زمن الحياة المزدهرة في عدن.

هو من ضمن الفيض الشعري الذي تدفق على عدن في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين الماضي، وواحد من شعراء الأغنية الذين ملأوا الساحة الغنائية اليمنية بشعرهم ونصوصهم البديعة ومايزال.

غاب عنا احمد الجابري زمناً لو قدرناه بالسنين فانها كثيرة وعاد إلينا وكأنه لم يغب عنا سوى لحظة قصيرة.

فارس من فرسان الشعر الغنائي اليمني مازالت كلماته بيننا ولم يترجل، مازال قادرا على الغناء برغم حزنه النبيل.. مازلنا نعيش مع روائعه ومازلنا نتذكر معه الزمن الجميل.. زمن الحياة المزدهرة في عدن.

هو من ضمن الفيض الشعري الذي تدفق على عدن في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين الماضي، وواحد من شعراء الأغنية الذين ملأوا الساحة الغنائية اليمنية بشعرهم ونصوصهم البديعة ومايزال.

في أغانيه نجد ذلك الانتقال في الزمان والمكان من البيئة البحرية، وسحر الماء ورمل الساحل والمركب الذي يحمل حبيب الروح في (يا مركب البندر) و(المي والرملة) و(شبكني الحب بسنارة) وكل مفرداتها من البيئة البحرية لمدينة عدن التي لحنها الموسيقار الراحل احمد قاسم الذي غنى له أيضا أغنية "بصراحة" إلى البيئة البدوية، والعيس التي تحمل العروس إلى بيت عريسها في أغنية (علم سيري) ومنها إلى خضرة الجبال وجمال الطبيعة في (اخضر جهيش مليان) وكلتاهما من الحان وغناء الفنان الكبير محمد مرشد ناجي وكأن الجابري يتعمد ان يطوف بنا في ربوع الوطن، بحره وسهله وجبله، شماله وجنوبه بكل ما يحتويه من تنوع بيئي واجتماعي، وفي العادات والتقاليد واللهجات وألوان الغناء كأنه اراد أن يقول لنا ان هذا التنوع هو ما يثري الوطن وما يمنحه القوة والتجدد، المرشد غنى له ايضاً (يا غارة الله) (لا تخجلي) (يابائعين الصبر) (وها ابوي اناشي لله) وغيرها.

كانت تلك هي الفترة الذهبية للأغنية اليمنية التي شهدت تطورها في عدن بدءً من نهاية الأربعينيات وأخذت حلقاتها تتطور خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين الماضي، لتستكمل تألقها خلال عقدي الثمانينات والتسعينيات من القرن نفسه، وكان على عدن بعد أن استوعبت التراث الغنائي اليمني من صنعاني ولحجي وحضرمي ويافعي أن تنطلق في تطوير الأغنية اليمنية بما يحررها من الجمود والرتابة المعهودتين والانطلاق بها إلى آفاق جديدة تستجيب لمقتضيات العصر وحداثة الموسيقى، أغنية تستجيب للابعاد الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومتطلبات المدينة واحتياجات الغناء المستقبلي.

لست الآن بصدد الحديث عن البدايات ومراحل تطور الأغنية اليمنية الحديثة فلذلك مجال آخر، كما أن ذلك صار من الأمور المعروفة لكنني أريد الوصول من هذه الإشارة العابرة إلى أن احمد الجابري في نصوصه الشعرية الغنائية احد الأصوات الشعرية القليلة التي أثرت الغناء اليمني الحديث من خلال عمق التأثير الفني والروحي والوجداني الذي تغلغل في ذلك الغناء من خلال نصوصه ونصوص زملائه من شعراء الأغنية اليمنية الحديثة.

أعاد لأيوب طارش مكانته التي اضطربت بعد رحيل "الفضول"

شكل تطوراً مهماً في مسيرة محمد سعد عبدالله الغنائية

شاعر كل "اللهجات"

والجابري واحد من قلة من شعراء الأغنية اليمنية الذين فتحوا أمام الأغنية أفقا حداثيا وهو في هذا لا يقل مكانة عن شعراء آخرين كان لهم اسهام عظيم في تطوير الحركة الغنائية اليمنية أمثال لطفي جعفر أمان وعلي محمد لقمان ومحمد سعيد جرادة ومحمد عبده غانم ومصطفى خضر وسواهم.

يقول الفنان عصام خليدي "احمد الجابري واحد من أهم الشعراء الغنائيين في اليمن" ويضيف:

"لا يمكننا اطلاق صفة شاعر غنائي على أي شاعر، ما لم يمتلك ناصية كتابة النص الغنائي الذي من أهم مميزاته الجرس الموسيقي والإيقاع بالاضافة للصورة الشعرية، والجابري بهذا المعنى شاعر غنائي بامتياز".

يكشف احمد الجابري في شعره عن شفافية روحه ونضج معرفته وعمق وجدانه، وينتمي في مفرداته وصوره إلى الحداثة الغنائية والتجديد حتى في شعره العامي.

ميزة اخرى تميز الجابري كشاعر غنائي وهي قدرته على التعامل والكتابة بكل اللهجات المحلية اليمنية تقريبا بالقدر نفسه من الجودة، انه بارع في مد جسور المفردة المحلية بينها وبين الصورة الشعرية الحديثة.. ان كل أغنية جديدة له تعد مناسبة جيدة ونجاحا يضاف ليس إلى رصيده الشعري بل إضافة جديدة إلى الأغنية اليمنية وفي هذا يقول عصام خليدي: "احمد الجابري في أعماله وأغانيه المكتوبة بالعديد من اللهجات تحسب بانه ابن لكل بيئة من تلك البيئات واللهجات المتعددة وكأنه خرج من رحم الأرض التي يتعاطى مفرداتها الشعرية.

ونجد اصدق دليل على ما يذهب إليه عصام خليدي في اغنية "علم سيري" من الحان وغناء محمد مرشد ناجي المكتوبة باللهجة البدوية لسكان أبين وشبوة من المحافظات الجنوبية، وفي أغنية (ياغارة الله) للفنان نفسه المكتوبة بلهجة أهل صنعاء ،كذلك نجد صدق ما يذهب إليه في اغاني الجابري المكتوبة باللهجة العدنية أمثال يا مركب البندر، والمي والرمله ، وشبكني الحب بسنارة من الحان وغناء الموسيقار الراحل احمد قاسم كما اسلفت، وهذا على سبيل المثال فقط لا الحصر.

يمتاز شعر الجابري برهافة الإحساسيس ورقة المشاعر وتدفق الصور وبالثراء اللغوي في مفرداته الشعرية مما يميزه عن غيره من شعراء الأغنية اليمنية الكبار.

ويضيف الخليدي: "انه يفاجئنا في كل قصيدة من قصائده بحالة جديدة خاصة أو عامة يترجمها بأدواته الشعرية التي يلامس فيها همومه من ناحية وقضايا وهموم مجتمعه وشعبه من ناحية أخرى".

ولان احمد الجابري اسم شعري له وزنه وتتحول كل أغنية جديدة له إلى أغنية شعرية نفيسة.. واقترن اسمه باقطاب الغناء اليمني الحديث فقد مد جسور التعاون مع القامات الفنية الرفيعة فلحن من كلماته الفنان والملحن الراحل الأستاذ جميل غانم أغنيتين هما "خصامك زاد" و"كلام أحلى من السكر".

أما الفنان الراحل محمد عبده زيدي فلحن له أغنيتين هو الآخر من روائع ما لحنه هما "ماتفتكريش" و"غصب عني"، وكان الزيدي شديد الإعجاب بالشاعر الجابري وبشعره ويرغب في المزيد من التعاون الفني بينهما، لكن شاءت الظروف ان يغادر الجابري إلى خارج الوطن لأسباب معروفة للجميع فانقطع اللقاء والتواصل بين الاثنين.

هجرة وعودة السنونو

الانتقال من مكان تحبه وارتبطت به، وصار جزءا لا يتجزأ منك ومن ذكريات العمر، ومن تكوينك الثقافي والفني إلى مكان آخر يشكل صدمة نفسية وثقافية وربما حضارية كما يحتاج منك المجتمع الذي انتقلت إليه إلى وقت لكي تدرسه وتتآلف معه وتندمج فيه انه نوع من الاغتراب الذي يصعب على الشاعر الرقيق المشاعر والرفيع الاحاسيس أن يستوعبه بسهولة.

ربما كان هذا هو الوضع الذي الف احمد الجابري نفسه يكابده في غربته ان لم نقل في محنته فجأة وجد نفسه بعيدا عن مرابع غناه، عن المحيط الاجتماعي والثقافي الذي يعتبره مكونه، عن الشوارع والازقة التي كانت خطاه فيها وعن مصادر الهامه وعيون شعره، وأكثر من هذا بعيداً عن أحبته وأصدقائه، وعن الجو الغنائي الذي سبح في محيط من مناه على حد تعبير الشاعر محمد سعيد جرادة.

وقريبا منه كانت روح أخرى هائمة تعاني مثله الغربة ويبرحها الشوق هو الآخر وجد نفسه في لحظة خارج الوطن، وهو الذي كانت أغانيه تهيم الأرواح كما يمشي الناس في الأسواق استشعر كل منهما الآخر.. ووجد كلاهما في صاحبه شيئا يجذبه إليه. وكانا كلاهما من الشهرة بحيث لا يجهل الآخر هو شاعر الأغنية الذي طفق شعره الآفاق باصوات اقطاب الغناء اليمني الحديث احمد قاسم ومحمد مرشد ناجي ومحمد عبده زيدي وهو فنان الغناء العاطفي بامتياز وصاحب مدرسة غنائية حديثة وقطب من أقطاب الغناء اليمني الحديث الذي لا يمكن ان ينكر إلا ويكون جزء من تاريخه بل انه يحتل مكانة في القمة من هذا التاريخ ومن يكون غير الفنان الكبير محمد سعد عبدالله.

هكذا التقى القطبان في الغربة وربما سأل كل منهما صاحبه عندما التقيا أخيراً لماذا تأخر ذلك حتى الآن أي إلى التسعينات من القرن الماضي لكنهما اقتنعا نفسيهما قائلين: "أن يأتي متأخراً خير من الا يأتي ابداً".

حمل العمل الأول الذي جمع القمتين احمد الجابري ومحمد سعد عبدالله عنوان (جوال) الذي صار عنوانا لالبومه الذي انتجه بن سعد في مصر مع فرقة مصرية اكوسترالية واستطاع العملاقان أن يقدما عملا يقومه عصام خليدي بأنه من الناحية الشعرية قيمة لغوية وفنية إضافية إلى شعر الجابري الغنائي، ومن الناحية الموسيقية فانه يشكل تطورا مهما وأضحا ليس في مسيرة الفنان الكبير محمد سعد عبدالله بل في مسار الغناء اليمني، بل أهم حدث فني طرأ على شكل ومضمون الأغنية الحديثة في اليمن.

أما العمل التالي الذي جمع بينهما فقد حمل عنوان (أنت استويت حساس).

اللقاء الحلم..

عقد التسعينيات كان عقد عودة الشاعر احمد الجابري من رحلة اغترابه خارج الوطن كانت قد (جرت تحت الجسر مياه كثيرة) خلال غياب الشاعر الطويلة.. الحراك الاجتماعي والثقافي والسياسي خلال ربع القرن الأخير أدى إلى أوضاع جديدة على مستوى الوطن كله وعلى مستوى عدن حاملة مشروع التجديد والحداثة.

وهكذا فان الجابري الذي يعتبر نفسه وشعره جزءا من هذا المشروع سيجد ضالته في فنان وملحن موهوب صاعد وصاحب مشروع موسيقي وغنائي حداثي هو عصام خليدي فيتم (اللقاء الحلم) بين الشاعر والفنان ويرتبطان بعلاقة إنسانية حميمة سرعان ما يترجمانها إلى أعمال فنية رائعة ومجموعة أغان جديدة هي صباح الخير ياوطني، يا صريع الهوى، ياأرض الخير، أغنية حب، وقصيدة شريط الذكريات، كعادته في كل أعماله وألحانه فان عصام خليدي الذي يملك احساسا عاليا بالكلمة الشعرية التي يتعامل معها وضع لكل أغنية منها لحنا بديعا يتناسب مع أجوائها وصورها وكلماتها لتكون معبرة عن المعاني والأحاسيس التي أرادها الشاعر، وفي الوقت نفسه دالة على أسلوبه الموسيقي الخاص في التلحين، فهي حافلة بالمقدمات والجمل اللحنية الموسقية الثرية بالاشتغالات الفنية المستندة إلى وعي فني وغنائي، فهو يشتغل على الإيقاع وعلى النقلات الموسيقية من كوبليه إلى آخر وبالأداء ومخارج الحروف و الالفاظ وسلامتها والخاتمة المستقلة موسيقيا ومتناغمة بشكل عام مع مجمل الحانه ، لكن أغنية واحدة من هذه الأغاني الخمس فقط وجدت طريقها إلى المستمع هي (صباح الخير ياوطني) التي سجلت للتلفزيون، والاذاعة ، أما بقية الأغاني فان الموقف السلبي غير المفهوم من وسائل الإعلام (الإذاعة والتلفزيون) حال دون تسجيلها وتوثيقها.

تجربة مختلفة..

تعددت الأصوات التي غنت لاحمد الجابري ولكل ملحن أو فنان تعامل مع شعره فلسفته ورؤيته الخاصة وأسلوبه الموسيقي الخاص به وكل فنان بل كل إنسان يلامس شيئا في أغانيه والكل يقف مندهشا أمام تلك السلاسة والشفافية التي تلامس الروح.

يبلغ إعجاب الجابري بالفنان أيوب طارش حدوداً لا يمكن وصفها وهو شديد الحماسة لغنائه ولصوته ويكن له تقديراً خاصا كإنسان وكفنان وإعجابه هذا كان وراء التعاون معه في عدد من الأعمال الغنائية التي لاقت النجاح.

والمعروف أن ايوب طارش شكل ثنائياً ناجحا مع الشاعر الراحل عبدالله عبدالوهاب الفضول ولزمن طويل ارتبطا معا إلى درجة لا يمكن معها تصور احدهما بدون الآخر.

وكان احمد الجابري عندما قرر أن يتعاون مع أيوب طارش واعيا كل الوعي لمدى ذلك الارتباط الفني الطويل بينهما ويخشى ان تكون تجربته معه نسخة مكررة من تجربتهما أو حتى أن يطرأ مثل هذا الانطباع لدى المستمع الذي تعود لعدة عقود على ما بين الاثنين من ارتباط من خلال فيض الأغاني التي غناها أيوب طارش من أشعار الفضول.

لكن الجابري بشاعريته المتعددة والمتجددة وبحنكته المشهودة استطاع أن يثري تجربة الفنان أيوب طارش الغنائية وان يضع بصمته الشعرية الخاصة ونفسه الغنائي مما ميز تجربته مع أيوب عن تجربة الفضول.

الجابري استطاع عبر النصوص التي قدمها له ان يعيد له مكانته الفنية الرفيعة التي اضطربت إلى حين عقب وفاة ورحيل توأمه عبدالله عبدالوهاب الفضول ويمكن اعتبار آخر أعمال الجابري لأيوب طارش (لمن كل هذه القنابيل) نقلة نوعية في مسيرة هذا الفنان الكبير.

لطفي والجابري

بالرغم من التجربة الشعرية الطويلة للجابري وتعامله مع كل المدارس اللحنية في اليمن تقريبا وبرغم ان القمم الغنائية على مستوى الوطن غنت من كلماته أمثال احمد قاسم ومحمد مرشد ناجي ومحمد عبده زيدي ومحمد سعد عبدالله وجميل غانم وأيوب طارش وعصام خليدي فلم يحظ هذا الشاعر الكبير بما يستحق من التقدير ولحق به ظلم فادح وربما ان شخصية الجابري الثرية بالعفة والنزاهة وعزة النفس ومواقفه الواضحة التي لا تقبل المساومة كانت السبب وراء كل ما لحق به من ظلم وما تعرض له من تجاهل مع انه يقف في مقدمة الشعراء الغنائيين في اليمن ويعد احد رواد الغناء التجديدي اليمني بما قدمه من نصوص استطاع من خلالها أن يعزز ذلك الاشتغال الواعي على المفردة المحلية و"العدنية" منها على وجه التحديد بما قدمه من نتاج غنائي جمع بين هذا الاشتغال على هذه المفردة والاشتغال الفني عليها باعطائها القيمة الجمالية والصورة الشعرية التي وصل إلى ذروتها وأبهى تجلياتها جنباً إلى جنب مع الشاعر الكبير الراحل لطفي جعفر أمان مما يدل على عمق تاثيرهما الفني والوجداني والروحي في الأغنية اليمنية الحديثة.

الموسيقار أحمد بن أحمد قاسم/ الفكر الموسيقي / الأخيلة الواسعة

أحمد درعان

لا تفسير لدينا اليوم لما جرى ويجري من أحاديث مختلفة في الفن والأدب وعالم الموسيقى ولبعض المهتمين بمثل هذه المجالات الخصبة النادرة سوى ذلك التفسير الذي يجعلنا في حالة استغراب عن صحوتهم هذه التي جاءت متأخرة وبعد أن شغلوا مساحات واسعة في مجالاتهم وتخصصاتهم وكأنهم بذلك يبحثون عن ميدان جديد للمصارعة أو المبارزة دون إلمام أو تفكير لما يذهبون إليه.. وفي أغلب الأحايين بعواقب هذه الأحداث وما يترتب عليها من اشكالات نحن جميعا في غنى عنها، ولقد لاقى الفنان اليمني ما لاقى من الارهاصات والعقبات في حياته .. لا لشيء، ولكن من أجل ان يطرب ويسعد الملايين ويصرف عن أبناء مجتمعه قضايا وأشياء لا تروق لهم أو ينسيهم إياها.. أو إياها .. وتلك هي الموهبة الجبارة التي وهبها الله جل شأنه لمبدعينا أينما كانوا ومهما تعددت أو تنوعت نتاجاتهم، فالموسيقار الراحل احمد بن احمد قاسم الذي غنى للوطن ولحب وطنه وقدم للحب أعظم وأجمل الاغنيات ملامساً ومداعبا بها المشاعر .. مشاعر الوشاق (في الليل اغني لك) و(أصحاب القلوب الغليظة) حتى تلين وحتى لا يختفي الحب كان ومازال صوتاً يمنياً فريداً وجد في زمن كان فيه عماد الفن والطرب الأصيل وصاحب مشوار غنائي طويل ارتبط به كارتباطه بالكثير من الشعراء والأدباء والفنانين .. حتى ساعة رحيله عنا وليظهر بعده جيل آخر وربما (ظهر الأخير) في زمن عشوائي فيه نكهة التعصب او التحيز..

إذا ما هو الدرس الذي استفدناه من رحيل هذا المبدع العبقري سوى انه لو سمع أو قرأ نصف ما قيل عنه.. بعد أن صار خبرا هو (الحديث) فكيف حال مبدعينا الأحياء؟ وانه لمن المؤسف والمؤلم أن نعرف الكثير عن حياتهم ولا نعدل في تصنيفهم .. إلا إذا كان حديثا مؤلما نسلي به أنفسنا لنكتشف فيما بعد انه كان ناراً في قلوبهم ولا نعترف بذلك حتى يومنا هذا.. والراحل احمد قاسم من المبدعين القلائل الذين أبدعوا في ربط الكلمة بالنغم لكي يكون لدى المستمع أكثر (تقبلا) أو (قابلية) لها مما يجعله (الأخير) في حالة انفعال طربي، وقد حظي باحترام وتقدير فنانين كبار في الوطن العربي أمثال الراحل فريد الاطرش، رياض السنباطي، السيدة فاطمة عثمان (كوكب الشرق أم كلثوم) وغيرهم من أولئك الذين رحلوا قبل رحيله عنا.. فتعالوا لنسمع شيئا عن احدى أغنياته العاطفية (يا حمام الشوق) فنجده يضع هذه العبارة (انته فينك والحبايب فين) في مقامين موسيقيين.. حيث وضع (انته فينك) في مقام موسيقي يطلق عليه (راست على الفا) أما العبارة الأخرى.. (والحبايب فين) وضعها في مقام آخر (بيات نوى) ويتلاعب بأنامله قليلا إلى (مقام الهزام) (اللي شفته في بعادك) الخ.. وهنا تكمن عظمة الفكر الموسيقي الذي امتلكه احمد قاسم إضافة إلى امتلاكه خفة الدم والروح التي سخرها لعالمه الموسيقي الجميل، كما كانت له القدرة على التمثيل وقد حقق نجاحا في فيلمه الوحيد (حبي في القاهرة) وبدع فيه لما يتمتع به من أخيلة واسعة وحس فني مرهف.. لكن هناك من أتخذ الشائعات وسيلة لاسقاط هذه الإبداعات وروج لها وكالذي يحكم على اشياء لا يعي تفاصيلها أو ربما لم يعشها ولم يقرأ عنها، والذين يسخرون من فن هذا العبقري انما يعزفون نغما على وتر نشاز يتردد في اذهانهم ليس لهذا الوتر وجود في فكر وفن وخيال احمد بن احمد قاسم رحمه الله وأبناء فرقته الموسيقية التجديدية.. وها هو ابو احمد أو ابو حماده يقدم للشاعر عبدالله عبدالكريم عام 1987م (بلدنا الغالية مبروك) ومن مقام موسيقي شرقي بيات دوكا والاخيرة تعني بيات على الدرجة الثانية للسلم الموسيقي ولكن هي في الأساس الدرجة الأولى To Neka (التونكة) في مقام (البيات الدوكاه) وفي عرف الموسيقي المتلقف يطلق عليها (بيات على الري) كما ان ايقاع هذه الأنشودة كان اختيارا دقيقا (10/8) سماعي ثقيل ثم ينتقل إلى ايقاع (6/8) ذلك الإيقاع الشرحي السريع، ولكن من مقام حجاز على درجة (الصول) (Sol) ونغمة صول هي الدرجة الرابعة في مقام بيات على الدوكاه، وقد استخدم احمد قاسم في اغانيه العدنية الإيقاعات الخفيفة مثلا.. أخذ إيقاع (الدوك) في أغنية (الكوكب الساري) مقام حجاز على الدوكاه وجعل إيقاعها بطيئا ولم يسرع فيها ولو كان سريعا لخرجت عن مضمونها وأصبحت راقصة (تمشيا مع الكلمة) وهذا دليل على وصفه هذه الكلمات التأملية بايقاع راقص روضه وجعله بطيئا خلافا لمحمد عبدالوهاب الذي استخدم هذا الإيقاع سريعا راقصا.. و(المسألة إبداعية).

وهكذا أجد نفسي أمام بانوراما من حياة مبدع قدم الكثير لوطنه معبرا عن حياتهم وآلامهم ولقد كانت العلاقات والتشكيلات الثنائية بين الشعراء والفنانين العامل الأساسي لابراز الكثير من الروائع الأدبية والإنسانية .. فكان الشاعر لطفي جعفر أمان يتجلى في احدى ملاحمه الشعرية الوطنية (أبريت موكب الثورة) ولاحمد بن احمد قاسم لحن يتغنى على الشفاه بصوته العذب الرقيق (يامزهري الحزين.. من برعش الحنين.. إلى ملاعب الصبا.. الخ) أول تجربة فنية نادرة وملحمة وطنية رائعة فيها تتعانق القلوب بذبذبات موسيقية منسجمة مع بعضها لتحثنا على فعل أمر ما، ومن مقام موسيقي غربي.. ثم نراه ونسمعه يغني للطفل .. ويلحن له ويلعب معه ومع (الراحل احمد شريف الرفاعي) رحمه الله في (تفاحة) أجمل وأعظم الالحان التعبيرية النابعة من عطفه وحنانه.. ذلك هو الراحل احمد قاسم رحمه الله الذي لا يعرف السؤال ولكن تأتي الإجابة عفوية صادقة منه قبل ان تسأله.

وأخيرا وليس بآخر.. ان الراحل احمد قاسم كما أحب الناس وقدم لهم لا يريد اليوم يدا تصفق له ولكن يريد يدا تحنو على أسرته التي تركها في لحظات مؤسفة .. وحتى تأتي لحظات الشدق والوقوف معها.. ومعه.. ومع الذين (هجرهم الحظ) أيضا.

مهرجان الكمسري الغنائي

عياش علي محمد

على غرار مهرجان بعلبك في لبنان ومهرجان (جرش) في الأردن، اقيم على مسرح بستان الكمسري في الشيخ عثمان (عدن) مهرجان غنائي أحياه الفنان الكبير فيصل علوي وخليفته البكر علوي فيصل علوي ورعاه المهندس عبدالرحمن شكري بمناسبة زواج نجله المهندس كمال عبدالرحمن شكري، وقد حضر هذا المهرجان عدد كبير من الشخصيات السياسية والاجتماعية والأدبية وعشاق الغناء القمندانى.

وفي هذا المهرجان الغنائي وعلى بساطه الأخضر ونسائم ازهاره الوارفة واطياره الرمادية تمايلت صبابات الفنان فيصل علوي محلقة في أجواء بديعة من رقة الصوت وعذوبه اللحن وجمالية الكلمات، فقد عرجت الأبيات على صنعاء بقصيدة (لله مايحويه هذا المقام) ثم دخلت واحة الخضيرة لحج لتسلم على قمندانها الأمير احمد فضل بن علي محسن العبدلي بقصيدة ساعة هني بايقع فيها الهناء والسعادة، يوم اللقاء عيد يا ربي عسى بالعيادة..

فتراقصت أغصان الشجر وزغردت الحمائم، وتدفقت على مهرجان الكمسري النسائم الفواحة من الزهور والورود منكرة الحاضرين بالأيام الخوالي لبستان الحسيني وكأنه رجع الصدى حين يتغنى الكمسري يتجاوب معه بستان الحسيني فيرقص طرباً ولسان حاله يقول لقد عدت مجددا للحياة.

ومهرجان الكمسري الغنائي محاولة جديدة لانبعاث وتجديد الموروث الغنائي اليمني على موقع جمالي وبستان تاريخي يليق باحياء سهراته الغنائية وفعالياته الفنية بعد ان ركدت الأصوات الغنائية في زاوية ضيقة وفي حارات مغلقة، أما بستان الكمسري فهو شيء آخر يضيف نكهة جديدة للنشاط الغنائي والإبداعي.

وكانت ليلة جميلة بامتياز يمكن بسهولة تذكرها ولكن لا يمكن بل ومن الصعب نسيانها لانها دشنت لأول مرة فعالية غنائية تماثل تلك الفعاليات التي تقام في عدد من الدول العربية، وربما كانت هذه الفعالية ورؤية من أقامها في هذا الموقع الجميل يريد أن يضع اللبنة الأولى لميلاد نشاط فني بديع على مسارح البساط الأخضر في بساتين الشيخ عثمان، واحتمال انتقال مثل هذه الفعالية إلى بساتين أخرى كاستثمار فني يدخل في عملية التنمية الاقتصادية والثقافية والفنية.

ويحسب لهذه الفعالية انها اختارت أن يكون بمعيتها كل من الأستاذ والشاعر الكبير عبدالله هادي سبيت والشاعر الفيلسوف صالح فقيه والشاعر الرومانسي صالح نصيب إلى جانب شاعر الواقعية سالم علي حجيري..

فقد كان هؤلاء الشعراء حاضرين في مهرجان الكمسري بقصائدهم الرائعة، فالشاعر عبدالله هادي سبيت غنى له الفنان فيصل علوي (دمعتك غالية ياللي ضمارك دموعك، عاد في الأرض رحمن). وغنى للشاعر الخالد مهدي حمدون قصيدة (في ذمته والله لاهب عمري) وهي أغنية مناسباتية تزامنت مع موقع الحفل البهيج في بستان الكمسري ومن أبيات هذه القصيدة نختار:

هوه من تبن اصله حل الكمسري
تقول مصري في قامته والله
تقولصري

وغنى الفنان علوي فصيل علوي قصيدة الشاعر الفحل صالح فقيه (الدهر كله عمارة متى يكون السكون) وهي من القصائد الوطنية التي اشتهرت في كل زوايا اليمن الأربعة بكلماتها الرنانة والتعبيرية وبلحنها الجميل الذي صاغه الأمير عبده عبدالكريم.

وتوالت الأغاني بمختلف الوانها وإيقاعاتها ووجدت صداها وتفاعلها عند الجمهور المشاهد الذي حضر إلى بستان الكمسري لإحياء هذه الليلة الجميلة التي ألهبت المشاعر وهزت إيقاعاتها الراقصة العقول والأحاسيس والوجدان فرقص الجمهور طربا لعودة الحياة الفنية (تلقائيا) وبدون علم سابق بان هذه الليلة سيكتب لها النجاح والتألق على يراع التاريخ المعاصر.

فهنيئا لكل من غنى ورقص وتفاعل في الليلة الجميلة ولكل من دشن قيام مثل هذه الفعالية وكل من شارك في نجاحها.

لهم مني أجمل تحية وسلام

المطرب عباد الحسيني رصانة صوت ووتر حزين

14 أكتوبر / احمد درعان

منذ زمن طويل.. وكالذي يحدث نفسه. وحتى ننسى لحظات الحزن والألم.. نحاول هذه المرة ان نتكيف مع النفس ومع أولئك المبدعين وألحانهم العذبة المختلفة.. والتي شكلت لنا نمطاً عاطفياً جميلا.. بصوت رصين وأوتار حزينة. يأتي من زمن الذين صدحوا باعذب وأجمل الألحان.. ذلك هو المطرب الشاب عباد الحسيني.. هكذا يمكن أن ننسى هذه الأحزان ونجني ثمار الحب والجمال. فلقد كان المطرب عباد ومن خلال إبداعاته التي اطربنا بها على مدى 28 عاما محافظا دقيقا على طبقة صوته.. ولربما اراد أن يتفرد بها.. ما وفر لديه حسن تحكمه بصوته، وقد سبق لكثيرين من المهتمين بعلم الأصوات استعراض جوانب أخرى دون الإلمام بالجانب الآخر (الزمن) وهذا ما يؤدي إلى اسقاط المتعة أو الإطراب (علما وفنا) وعباد الحسيني بدأ حياته الفنية مع شعراء وفنانين كبار أمثال الفنان الراحل محمد سالم بن شامخ ومحمد سعد عبدالله ومن الشق الإبداعي الآخر / الشاعر / علي عمر صالح وصالح مفتاح وعلي حيمد، وقدم ما استطاع بصوته الرصين العذب أجمل الالحان فنسمعه في أنشودة (ياعيدوه ياوطني) كلمات علي عمر صالح لحن نجيب سعيد ثابت كما انه قدم من كلماته (من ظلم لابد يظلم) لحن الفنان يوسف حسن عثمان وقام بأدائها فيما بعد الفنان الراحل احمد محمد العنصره (رحمه الله) ثم بعدها يتجرأ بشجاعة ليقدم (ياني تسكنو) من كلماته والحانه بعد صياغته اللحنية لثلاث أعمال غنائية للشاعر علي حيمد (ردوا عليه السلام) (كم أدورلك) و(عادفيك الخير) أما بالنسبة لأغنية (لوعة شوق) فقد اطربنا بها بصيغة الفنان والملحن الخلوق محمد عوض عبدالله المسلمي والكلمات للشاعر صالح مفتاح.. كما لا ننسى أيضا انه قد أمتعنا واسمعنا من كلمات والحان الشاعر الغنائي عبدالقادر الكاف أغنية (ريناباي جازيه).. وهكذا تتجلى أحلى واجمل صور الإبداع لهذه الحنجرة الرصينة حيث أستطاع ان يجعل الصمت الحزين ناطقا من بين أنامله بأوتار العود التي أحبها من بين اخواتها الآلات الثابتة والوترية الأخرى.

ولم يرتبط الفنان عباد في حياته الفنية إلا بالفنان الراحل محمد سالم بن شامخ الذي كان يراه احد ابنائه مع رياض وسالم ونجلاء (الأول) حيث كان المطرب عباد الحسيني يرى انه أمام أب وصديق ومطرب وشاعر تكبر مساحته الفنية من خلاله ولابد له من إرضاء أستاذه الأب (شامخ) رحمه الله ثم إرضاء جمهوره الذي كان أكثر إعجابا به وليضفي على هذا الإطراب بألوانه الغنائية أعذب وأجمل النغمات الصادرة من آلة عوده الحزينة التي أبدع فيها ومازال حتى اليوم رغم ما صادفته من عقبات .. ولكنه اجتازها كما يرى أيضا انه مازال تلميذا لهؤلاء المطربين الكبار بعد تحقيقه بعض النجاحات بفضلهم (بعد الله) والتي أثرى بها المكتبة التلفزيونية (القناة الثانية) عدن ولم يكن له نصيب في الإذاعة إلا اليسير حيث سجل للتلفزيون (10) أعمال غنائية سبق وأن استعرضنا البعض منها .. وعباد أحد تلامذة الفن والطرب يسخر من نفسه أحيانا عندما لا يرى اهتماما بأحوال المبدعين خاصة فيما يتعلق بتقييم الأعمال الفنية وتصنيف مبدعيها من قبل الجهات الرسمية الراعية حتى يكونوا في المستوى الأفضل اللائق بهم جميعا لكن سرعان ما تتراجع هذه السخرية ويبتسم ليرى أن ما قدمه ما هو إلا لجمهور الطرب (العامة) وليثبت بعد ذلك ان مساره كان صحيحا إلى الأغنية اليمنية ومهما سكنت المأساة قلبه فهي التي صنعت نجاحاته وصقلت شخصيته ليحتل هذه المكانة مع جيل عصره تلك المكانة البسيطة المتواضعة التي عرف بها في الوسط الفني.. ولانني أرى ان الذين يشكلون هذه الأنواع والألوان الغنائية العاطفية ربما يكونون أكثر إنسانية واشفق على نفسي أحيانا معهم لمثل هذه الإبداعات المحركة للمشاعر والمنعشة للعقول في إنسان جميل وما جف في الذاكرة ولهذه الألحان العذبة كلما أطربنا لها واطربنا بها الفنان المبدع عباد الحسيني، وحتى ننسى هذه اللحظات الحزينة بحثا عن نور يضمنا وقبل أن نترك الليل والنهار في إجازة طويلة) والهواء والمطر.. وبعد عناء ومشقة وقبل أن نذهب كمبدعين إلى (المكان الآخر) هل من حنان وتكريم لمثل هؤلاء الذين حرصوا على اختيار الكلمة باتقان وعلى اوتارهم الحزينة وبعد صياغتها لحنا وبصوت متفائل ورصين أمثال المطرب عباد الحسيني أم اننا سنذهب قبل ان نلمس شيئا من قبل اصحاب البعد الثقافي الرسمي ونصاب بالفتور والوهن.